

إسهام المغرب الأوسط في تزويد أموي الأندلس بخام ذهب السودان الغربي أيام الخليفة الناصر ونجله المستنصر بالله

د/ شرقي الرزقي

جامعة تلمسان

ملخص:

ساهم ذهب إقليم السودان الغربي بقسط كبير في الدّفع بعجلة التّنمية الاقتصادية، والازدهار الحضاري الذي عرفته شعوب وأمم الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط خلال فترة القرون الوسطى، حيث يتطرق هذا المقال إلى إسهام بلاد المغرب الأوسط كوسيط بين منابع هذا الذهب في الجنوب، والمستفيدون منه بالشّمال من الأمويين على عهد الخليفة الناصر وابنه المستنصر بالله، اللذان يعود إليهما فضل إحياء الخلافة الأموية بالأندلس، وإعادة بعث مجدها من جديد، بعدما أشرفت على حافة الانهيار والسقوط الأكيد.

الكلمات المفتاحية: الأندلس؛ المغرب الأوسط؛ السودان الغربي؛ الناصر لدين الله؛ المستنصر بالله.

مقدمة:

شهد إقليم المغرب الأوسط في النّصف الأوّل من القرن (10هـ/10م) أحداثا، وتجاذبات مصيرية من غير أن توفّقها المصادر التاريخية المعاصرة، أو القريّة منها زمنا نصيبها المستحق من التّحقيق والتّقصي، حيث اكتفت بتحجيمها، وتقزيم وقائعها الحاسمة في مشهد هلامي عقيم^{*}، اختزلت وقائعه في صراع "كلاسيكي" ذي بُعْدَيْن أساسيين، أحدهما محليّ داخلي، تمثّل في نشوب حروب سجال بين قبائل المنطقة لأتفه الأسباب منذ الأزل؛ والآخر ظاهره مذهبي ناشب بين الخلافة الأموية السّنيّة في الأندلس، المنتعشة من جديد على عهد الخليفة الناصر لدين الله عبد الرّحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرّحمن بن الحَكَم بن هشام بن عبد الرّحمن الدّاخِل (300-350هـ/ 912-961م)، وخليفته على العرش، نجله الحَكَم المستنصر بالله (350-366هـ/ 961-977م) من جانب¹، ومنافستها الفتيّة، الدّولة الشّيعيّة الفاطمية بأفريقيّة قبل رحيلها إلى مصر (296-361هـ/ 909-972م) من جانب آخر²؛ وباطنه سياسي- اقتصادي، اندرج ضمن مبدأ سياسة التّمدد على حساب المجال الجغرافي المجاور لهما جنوبا بالنّسبة للخلافة الأموية، وغربا بالنّسبة لمنافستها الدّولة الفاطمية قصد تأمّن مصالحهما الحيويّة، ومحاولة الاستحواذ على طرق الإمداد بخام ذهب السودان الغربي،

مصدر كلّ انتعاش اقتصادي، وازدهار حضاري آنذاك، حوّل بلاد المغرب الأوسط بموجب ذلك إلى بؤرة صراع مرير بين الطرفين المتنازعين.

مُغفلة بذلك، أو متناسية الدوافع الحقيقية، الكامنة وراء هذا المشهد المُعتم، كمسألة احتكار منابع الذهب الإفريقي، وقضية إحكام السيطرة على طرق تجارته، وقنوات تداوله وإنفاقه بين الناس، وأثر ذلك في تجديد الخارطة السياسية للمنطقة باستمرار، وما انجرّ عليها من لا أمن، واضطراب عارم، طال مختلف مجالات الحياة، حيث سرعان ما ألقى بظلاله على مختلف الأنشطة الاقتصادية، وانعكست آثاره على الصعيد الاجتماعي، والهضة الثقافية، والتطور العمراني بالمنطقة، تلك الأنشطة التي بقيت هزيلة طيلة هذه الفترة، المتزامنة مع وجود الخلافة الفاطمية على أراضي المغرب الإسلامي قبل رحيلها إلى مصر سنة (361هـ/972م)، فضلا عن أثرها المحسوس في مجال توجيه دواليب الاقتصاد، وحركة العمران لدى بقية الدول المتعاقبة على حكم المنطقة في الفترات التاريخية اللاحقة.

1). دور الذهب الإفريقي في مجال تفعيل حركة اقتصاد العصر الوسيط:

نعتت العرب في سالف عصرها الفضاء الجغرافي، الممتد اليوم ما بين الدرجة العاشرة شمال خطّ الاستواء جنوبا، ومشارف شمال الصحراء الكبرى شمالا؛ ومن المحيط الأطلسي غربا إلى منطقة القرن الإفريقي، المشرف على المحيط الهندي شرقا باسم "بلاد السودان"، نسبة إلى لون بشرة السكان القاطنين فيه وهو بذلك، إقليم جغرافي مستبحر جدّا، حيث ينقسم ينقسم ضمّنيا إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: "السودان الغربي" المرتبط بعلاقات وطيدة مع بلاد المغرب الإسلامي خلال فترة القرون الوسطى والفترة الحديثة على وجه الخصوص، وقد شمل اليوم كلاً من حوض السنغال، وغامبيا، وبوركينا فاسو (فلتا العليا سابقا)، ومالي، وقسم معتبر من بلاد النيجر؛ و"السودان الأوسط"، ويقتصر على بحيرة تشاد والمناطق المحاذية لها من مختلف الجهات الجغرافية الأربع؛ و"السودان الشرقي" ويتعلق الأمر بروافد نهر النيل الجنوبية، بداية من حدود بلاد النوبة في الشمال إلى غاية منابعه في أقصى شرق القارة الإفريقية بالجنوب*، المعروف لدى العرب أنفسهم إبان الفترة الممتدة ما بين القرنين (03-06هـ/9-12م) ببلاد الرّنج³.

ومهما كان الأمر، فقد عرّف إقليم "السودان الغربي"، بداية من القرن (03هـ/9م) وإلى غاية مستهلّ العقد الخامس من القرن (07هـ/13م)، قيام إمبراطورية محلية، تُعرف تاريخيا باسم "مملكة غانا"، وهي غير دولة غانا المعاصرة طبعا، كما يؤكّد ذلك حجم نفوذها

السياسي، حيث بلغ في أقصى ما وصل إليه من توسّع إلى شَمْل كلاً من: جنوب موريتانيا اليوم، وشرق السنغال، وقسم من بلاد مالي، ولربّما غينيا على حدّ ترجيح افتراض بعض الباحثين المعاصرين، قبل سقوط عاصمتها الإدارية "ولّاتا" (كمبي صالح)، الواقعة بمنطقة عين العتروس بجنوب شرقي موريتانيا في نهاية المطاف، عام (638هـ / 1240م) على يد قبائل "السّوشو"، الزّاحفة يومئذ من الأراضي المالية المتاخمة لها⁴، وضمحلّ مركزها التجاري الدّولي الذائع الصّيّت على امتداد مرحلة القرون الوسطى، مدينة "أود غشت"، الواقعة ما بين "كيفا" و"نيشيت" جنوب موريتانا الحالية دائماً⁵.

تلك المملكة التي اعتمدت في منشئها، وضمان استمراريّتها على مدار نحو خمسة قرون كاملة من الزّمن على المبادلات التجارية العابرة للأقطار في المقام الأوّل، حيث بدت "أود غشت" كمنطقة تجارية للتّبادل الحرّ بين الشّمال والجنوب، وحلقة وصل بين مناجم التّبر الإفريقي، وقوافل الملح، وبقية البضائع المصنّعة الأخرى، الواردة عليها من حواضر المغرب الإسلامي في اتجاه بلاد السّودان الغربي⁶، كما يمكن أن يُستشفّ بوضوح من جملة مبالغ مستخلص الجزية الهائل الذي كان يستلمه "تين يروتان بن وشيو بن ترارجل الصّنهاجي"، حاكم مدينة "أود غشت" من بضعة وعشرين ملكاً من ملوك السّودان الدّاخلين تحت وصاية مملكة غانا في الأيام الأخيرة من حكم الخليفة النّاصر الأموي، وردحاً من عهدة نجله المستنصر بالله، وتحديدًا خلال العقد السّادس من القرن الرّابعة هجري (350-360هـ / 961-971م)، ممّا أدى إلى اتساع رقعة النّفوذ السياسي لهذه المملكة، حتّى أصبحت مساحتها تُقدّر لدى الجغرافيين القدماء بمسيرة شهرين في مثلها على حدّ ما ذكر البكري في كتاب المسالك، وكرّره من بعده صاحب كتاب الاستبصار عام (584هـ / 1188م)⁷.

فيما اهتدى المسلمون الفاتحون إلى منابع ذهب بلاد السّودان الغربي أوّل مرّة في تاريخ المغرب الإسلامي مع غزوة القائد العسكري المحنّك حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، الذي سيّره الوالي الأموي عبيد الله بن الحبحاب السّلّولي (ربيع الأوّل 110هـ - جمادى الأولى 123هـ) من دار الإمارة بأفريقية إلى أهل السّوس بالمغرب الأقصى، وزيادة توغل هذا القائد من تلقاء نفسه أكثر، فأكثر بداخل بلاد السّودان في غياب أيّة مقاومة تعترض طريقه هناك، حيث بقي معسكره قائماً إلى عهد تأليف البكري كتاب المسالك عام (460هـ / 1067م)⁸؛ ولو أنّ الكميّة الهائلة من الدّهب التي غنمها حبيب، لم تكن سوى سبائك وأغراض مصنّعة على الرّاجح كانت في حوزة الأهالي، وليس هناك من دليل يؤكّد وضع حبيب يده على مناجم

الذهب هناك بشكل مباشر، بل الأكثر من ذلك فإنّ مصادر تاريخ الغرب الإسلامي، تُرجع السيطرة المباشرة للعرب، أو سكان الشمال بالأحرى على مناجم الذهب في بلاد السودان الغربي إلى الزحف المرابطي الشهير، تحت قيادة زعيمهم الرّوحي عبد الله بن ياسين عام (446هـ/1054م)⁹.

ومهما كان من أمر، فقد بدا ذهب بلاد السودان الغربي على ضربين كما قال العمري، ونقل عليه القلقشندي فيما بعد: أولهما تبر متناثر، يبرز على سطح الصحراء في الرمل للعيان خلال فصل الربيع؛ والآخر كتل خام، تُقلع من مناجم معروفة تشرف على ضفتي نهر النّيجر¹⁰. وهو أجود ذهب الأرض قاطبة على حدّ قول البكري وغيره¹¹. وقد كان من أشهر مناجمه وأغزرها انتاجا، مناجم "غيارو"، حيث تبعد على عاصمة الدولة الغانية بمسافة مسير ثمانية عشر (18) يوما في أرض أهلة من غير انقطاع بقبائل الرّنوج؛ وجزيرة "وانقرة" بنهر النّيجر؛ ومناجم "كاغو"، أو "كوغة" الواقعة جنوب شرقي بلاد مالي اليوم¹².

إذ يُحمل من هذه المناطق مجتمعة، ويودع في مدينة "أود غشت" كمرحلة أولى، ثم يُنقل من هذه المدينة إلى سجلماسة في مرحلة ثانية، حيث برزت بدورها منذ مرحلة مبكرة كوسيط تجاري رئيس بين مصادر الذهب الإفريقي، وباقي مناطق تسويقه عبر أنحاء العالم القديم إلى درجة أنّ أهلها كانوا لا يتوانون في التعامل فيما بينهم بالذهب جُزافا بلا وزن ولا حساب من فرط وفرة، وكثرته لديهم¹³؛ ولذلك عدّها صاحب الاستبصار، والرّحالة العمري من جهتيهما عن صواب بأنّها بوابة الصحراء إلى بلاد السودان ومعادن الذهب¹⁴، قبل أن يصل في مرحلة ثالثة إلى مراكز توزيع ثانوية ببلاد المغرب دائما، كمدينة فاس بالمغرب الأقصى، ونظيرتها مدينة تلمسان في أقصى غرب المغرب الأوسط، ليجتاح منهما بقية أنحاء الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط في وقت لاحق، ضمن حركات اقتصادية مكثّفة، ومبادلات تجارية رائجة، لا يتسع المقام هاهنا للوقوف عند تفاصيلها¹⁵.

(2). مكانة تلمسان في التجارة الدولية للذهب بمنطقة حوض المتوسط الغربي:

لعلّ أبرز ما يمكن التذكير به في هذا المقام، هو بقاء طرق ذهب بلاد السودان الغربي خلال هذه الفترة الزمنية المبكرة غير معروفة لدى التجار، وحكام دول الإقليم، أو على الأقلّ استمرارها كحقل بكر غير مُستغلّ تماما على خلاف الوصف المعهود لها في كتابات الرّحالة والمؤرّخين أيام عصرها الذهبي، المصداق لمرحلة زمنية لاحقة من المرحلة الزمنية المعنية بهذه

الدّراسة، واقتصار المبادلات التجاريّة في ذلك الوقت على محور الطّريق الأنف الذكر، طريق "سجلماسة - أود غشت".^{*}

فالطّريق الذي شقّ من مدينة "سدراتة"، الواقعة بالجنوب الشرقي من الجزائر اليوم، وتحديدًا على بُعد بضعة عشر كيلومترا من مدينة ورقلة الحالية^{**}، مرورا بتغازي، موضع تفرّعه إلى فرعين ثانويين، أحدهما إلى الغرب قاصدا "أود غشت"، فيما كان الفرع الثاني مُتجها شرقا صوب مدينة "كانو"، الواقعة بمنطقة بحيرة التّشاد، أو بالأحرى بلاد السودان الأوسط على ذلك العهد¹⁶؛ لم يُعرف على الأرجح، إلّا بعد نزوح بقايا الدّولة الرّستمية (160-296هـ/ 777-909م) من عاصمتهم الأولى "تمهرت"، واعتصامهم هناك على مشارف الصّحراء الكبرى، هربا من بطش الفاطميين بهم، قبل هجرها هي الأخرى في وقت لاحق، والارتحال عنها في اتجاه وادي ميزاب حيث يُقيم أحفادهم هناك إلى يومنا هذا.

نفس الشّيء يقال على طريق عاصمة أفريقية (تونس)، مرورا بغدامس الليبية، المنتهي بالمالي بعد تعريجه على النّيجر أوّلا¹⁷، حيث بدأت عملية ارتياده المكثّف مع الفاطميين في عقب إحكام أموي الأندلس سيطرتهم بقبضة من حديد على أقدم الطّرق وأشهرها على الإطلاق، ألا وهو طريق "سجلماسة - أود غشت"، المارّ على مدينة فاس بالمغرب الأقصى، وتلمسان، ثمّ تمهرت في المغرب الأوسط، قبل أن ينتهي بالقيروان في آخر المطاف¹⁸.

إذ لا يمكن في هذا الشّأن تجاهل ما عاينه خليفتهم الأوّل "عبيد الله المهدي" (297-322هـ/ 909-934م) عيانا بمعية ابنه أبي القاسم في عقب تخلّصهما من أصفاد الأسر، بسجن بني مُدّرار في سجلماسة ذاتها، شهر ربيع الثّاني (297هـ/ 909م) على يدي داعيتهم عبيد الله الشّيعي، الذي فتّش من جهته أهل سجلماسة فردا، فردا، وسلب منهم ما مقداره (120) حمل بغير كامل من التّبر في عقب هذه الحادثة، قبل أن يصرف أهل سجلماسة إلى حالهم، ويقفل راجعا إلى أفريقية بتلك الغنيمة المنقطعة النّظير^{*}، حيث كان من جملة أوجه انفاق تلك الغنيمة، بناء مدينة المهديّة بتونس، احتفاء بنجاة عبيد الله ونجّله من الأسر، والانتصار الرّمزي للدّعوة الفاطمية على غيرها في ديار المغرب الإسلامي¹⁹.

كذلك بالنّسبة للطّريق الجنوبي أيضا، الذي كان يربط بلاد السودان بمصر، حيث لم تبدأ عملية استغلاله من قبل هذه الأخيرة، إلّا في عقب نفاذ خام الذّهب من مناجم وادي العلاقي، التي كانت تمتد من بلاد النّوبة جنوبا إلى مشارف أسوان شمالا، المُستغلّة منذ مرحلة مبكّرة من تاريخ الفتح الإسلامي لمصر، ناهيك عن ثبوت استغلال تلك المناجم في ظلّ الحضارة

الفرعونية قبل أن تُعوّض شيئاً فشيئاً بذهب السودان الغربي، بداية من القرن (05هـ/11م)، وإلى غاية مُستهلّ الفترة الحديثة²⁰.

فحسبنا في هذا المقام ذكر المحاور الأساسية لتجارة ذهب السودان الغربي، دون الغوص في روافدها الفرعية، أو الطّرق التي لم تُستغل بشكل مُكثّف، شأن الطّريق السّاحلي الذي كان يربط شمال المغرب الأقصى بمدينة "أود غشت" منذ مرحلة مبكرة، مروراً بأراضي الصّحراء الغربية الحالية في منحنى محاذٍ تماماً لسواحل المحيط الأطلسي، قبل هجر عن طواعية بسبب صعوبة مسلكه، وغلبة مشاقه.

ومهما كان من أمر، فقد برزت أهمية حاضرة تلمسان في مجال توزيع ذهب بلاد السودان الغربي مبكراً على صعيد الدّارة التّجارية الإقليمية للحوض الغربي من البحر المتوسط²¹، وقد ساعدها على ذلك فيما يبدو جملة من الاعتبارات التّاريخية والجغرافية المواتية، لعلّ من أبرزها: كون موقعها يترّفع على مفترق طرق رئيس يجمع السّاحل في الشّمال بالصّحراء في الجنوب والشرق حيث وجهة الحج، وجامعات التّعليم، وعاصمة الخلافة الإسلامية بأقصى أقاليم المغرب الإسلامي غرباً، إذ يقول الإدريسي بهذا الخصوص: "ومدينة تلمسان قفْلُ بلاد المغرب، وهي على رصيف للدّاخل والخارج منه، لا بدّ منها، والاجتياز بها على كلّ حال"²².

تبوّهها منصب العاصمة لدى دول وإمارات الأهالي من القبائل الزّناتية، منذ فجر الفتح الإسلامي للمنطقة بدءاً بدولة بني يفرن المحليّة، وانتهاءً بالدّولة الزيانية، المستمرّة إلى غاية منتصف القرن (10هـ/16م). إذ يقول البكري بهذا الخصوص: "وهذه المدينة تلمسان، قاعدة المغرب الأوسط... وهي دار مملكة زناتة، وموسّطة قبائل البربر، ومقصّد لتجار الآفاق"²³. وهو ما يؤكّده عبد الرّحمن بن خلدون في وقت لاحق: "هذه المدينة [يعني تلمسان] قاعدة المغرب الأوسط، وأم بلاد زناتة، اختطّها بنوا يفرن بما كانت في موطنهم، ولم نقف على أخبارها فيما قبل ذلك"²⁴.

وبعبارة واحدة، فإنّ تلمسان قد شكّلت رهانا كبيراً على مدار القرون الوسطى في استراتيجيات الدّول المتعاقبة على المنطقة، وما واكبها من نزاعات إقليمية، ضمن "سياسة إعادة الانتشار"، أو "سياسة حرب المواقع"، شأن التّزاع الفاطمي الأموي على صعيد الخلافة، والتّزاع الحمادي المرابطي، أو الموحيدي مع بني غانية، أو المريني الزياني، والزياني الحفصي، بل وحتى الحفصي المريني على صعيد الدّول والإمارات المستقلّة بذاتها في المنطقة.

تنافس مرير لم يبق حبيس الصّراع السّياسي والعسكري التّقليدي بين الأطراف المتنازعة حولها فحسب، وإنّما تعدّاه في كثير من الأحيان ليطفح بشكلٍ جليّ على الصّعيد التّجاري والاقتصادي مع دول، وجمهوريات أوروبا الغربية، وفي تجارة ذهب بلاد السودان الغربي أيضاً، حيث ذاع صيت تلمسان كقطب تجاري هام، وبروز أسّر تلمسانية متخصصة في تجارة الذهب الإفريقي وتخزينه بالمغربين (الأوسط والأقصى) على مدار عقود كثيرة، فضلاً عن تأثيرها الثقافي الواضح في الشّعوب الإفريقية المتعامل معها.

(3). تسخير أحد مواني تلمسان من طرف أموي الأندلس لاستغلال الذهب الإفريقي:

لم يكن إقليم الأندلس مُفتقراً لمعدن الذهب بالمرّة، ولم تكن عملية اكتشافه واستغلاله خافية على المسلمين الأوائل، كما أشار إلى ذلك اليعقوبي بصريح العبارة²⁵، حيث تمّ لهم في هذا الصّدّد، استغلال منجم "القديس يعقوب" (شنت ياقوب) العريق لمُدّة وجيزة، قبل نفاذه، وهجره عن طواعية في فترة سابقة من تاريخ قيام الخلافة الأموية هناك، وتعويضه من طرف هذه الأخيرة بذهب مناجم كلّ من: "لاردة"، و"جليقة"، وتبر ساحل "لشبونة"، تلك المناجم التي بقيت تنشط حتّى بعد سقوط هذه الخلافة، ولو بوتيرة أقلّ ممّا كانت عليه في بادئ أمرها بكثير²⁶.

إذ يُرجح في هذا الشّأن إحدى الفرضيتين: فرضية عدم توفّر هذا الخام النّفيس بالكمية الكافية هناك لتحريك عجلة اقتصاد الخلافة في الحوض الغربي من البحر المتوسط؛ أو بسبب رداءة نوعيته مقارنة بنوعية الذهب الإفريقي الذي حقّز أموي الأندلس على طلب هذا الأخير من مصادره الأصلية بوصفه الأغزر إنتاجاً، والأجود نوعية من غيره على الإطلاق²⁷، كما يمكن أن يستنبط من تقدير تكاليف بعض المنشآت العامة على عهد الخليفة النّاصر لدين الله نفسه بالدينار السّجلماسي بدل الدينار القرطبي²⁸.

ومهما كان الأمر، فإنّ الإستراتيجية التي رُسمت من طرف خلفاء الدّولة الأموية بالأندلس في سبيل تسخير بعض موانئ وطرق غرب المغرب الأوسط (الجزائر) على ذلك العهد لاستغلال الذهب الإفريقي، قد ارتكزت على معطيات واقعية، ونهج حكيم، مفاده أنّ رأب صدع الأندلس على يد الخليفة النّاصر لدين الله وابنه المستنصر بالله (300-366هـ / 913-977م)، لا يعني بأيّ حال من الأحوال تجاوز الأندلس محنة التّشتت والتّشرذم، التي بلغت ذروتها في عهد سابقهما الخليفة عبد الله بن محمد بن عبد الرّحمن بن الحَكَم (275-300هـ / 888-913م) إلى الأبد²⁹، وأنّ الخلافة في غننا على الحروب والنّزاعات الدّامية من أجل تأمين حدودها،

وطمأنة رعيتهما، وحماية مصالحهما الاقتصادية بالداخل والخارج في بيئة دولية تشهد تشنّجا كبيرا، كظهور هجمات عبّاد النّار (النّورماند) على الحدود الغربية للخلافة من عرض سواحل المحيط الأطلسي بين الفينة والفينة الأخرى؛ واستمرار مناوشات الصّليبيين للمسلمين بداخل الأندلس³⁰؛ وتصادد حدّة التّوتر مع الخلافة الفاطمية في أفريقية، حيث عادت الصّدّات المباشرة بين الطّرفين، حتمية واقعية لا مفرّ منها في مياه المتوسط كما في أرض المغرب على قدم المساواة³¹؛ أضف إلى ذلك صعوبة ترويض بؤر التّوتر المستمرّة في المناطق المحاذية للخلافة من الجنوب ببلاد المغرب في سبيل تأمين جنوب الخلافة من صدّى آثار ذلك، كما هو متجلّ في كثرة التّازحين واللّاجئين من المغرب إلى بلاد الأندلس، ساعة تأزم الأوضاع، واضطرابها هناك، وما كان يسببه لها من أعباء مالية، وأمنية، واقتصادية إضافية فيما يبدو.

وبعبارة واحدة إسقاط رهان الاحتلال بالقوّة وإبعاده من لائحة الخيارات، الجديرة بالدراسة بصرف النّظر عن الأوضاع السّياسية المتردّية، والمتقلّبة في بلاد المغرب الأوسط وقتئذ، وترجيح مبدأ العمل "الدّبلوماسي"، كما يشهد على ذلك طبيعة الحضور الأموي على مسرح الأحداث في المنطقة غير المباشر، وتجلّي مظاهر وجود نشاطه في نطق محدودة، ومركّزة للغاية، بعيدا عن الحضور العسكري المباشر، المثير للجدل والاستفزاز على خلاف ما حدث مع بلاد المغرب الأقصى، ولاسيما منه القسم الشّمالي فيما تبقى من أيام الخلافة الأموية، ومدة استمرار الدّولة العامرية من بعدها، حيث بدت تلك الرّقعة الجغرافية، وكأنّها ولاية أموية حقيقية، لا يفصلها عن الخلافة الأمّ سوى مضيق جبل طارق كحاجز طبيعي، لا غير³². علما أنّ هذه الإستراتيجية الفعّالة رغم أنف الطّوق الفاطمي المحاصر لها عن كُتب، قد ارتكزت على جملة من الدّعائم الأساسية، لعلّ من أبرزها على الإطلاق:

(أ). التّدخل في الشّأن الدّاخلي للمغرب الإسلامي: ففي الوقت الذي استرجع فيه الأندلس أمنه واستقراره، ولو إلى حين أيام الخليفة النّاصر وابنه المستنصر بالله³³، كان المغرب بمثابة قدّر يغلي على النّار، تنحدر التّزاعات القبلية، وتمزقه النّحل المذهبية، وتشتته الصّراعات القبلية إلى أشلاء متناثرة على أصعدة مختلفة؛ أضحت معها جميع الوسائل مشروعة لدى المتنازعين في سبيل تحقيق نصر وهمي، المنهزم فيه خاسر بالضرّورة، والمنتهصر فيه كمن يطارد السّرّاب، وقد امتدّ أثر ذلك إلى بلاد الأندلس كما سلفت الإشارة من خلال أمواج الهجرات البشرية المتدفقة على إقليمه الجنوبي، ونقل صدّى الحرب المحليّة إلى هناك، وبات الشّأن الدّاخلي المغربي من صميم استقرار الخلافة الأموية بالأندلس، وأمن رعيتهما،

وحماية مصالحها الحيوية في منطقة الحوض الغربي من البحر المتوسط برمته؛ أي بجملة واحدة، أنّ ضرورة التدّخل في الشّأن المغربي كان بمثابة حتمية واقعية لا مفرّ منها.

وبغض النّظر عن الغايات الأمنية والسياسية المرتقبة من هذا التدّخل، الذي لخصّت المصادر التاريخية أهدافه الظّاهرية في بناء تحالفات إقليمية مع الأهالي على انفراد بغرض تقويض وحدتهم المحتملة والانقلاب عليها في المستقبل، وكذا وضع حدّ للمدّ الفاطمي الزّاحف من الشّرق، وتحرير مجال جغرافي وقائي يحول بين الأمويين وخصومهم، وترك حريّة إدارته إلى حتمية الظّروف، إمّا بالحضور المباشر كما هو الحال عليه في الإقليم الشّمالي من بلاد المغرب الأقصى، حيث تم احتلال سبتة³⁴، وطنجة³⁵، وفاس³⁶، أو بشكل غير مباشر كما هو واقع مع النّاحية الغربية من أراضي المغرب الأوسط، شّأن وهران، وتنس وتيهرت، وتلمسان، وغيرها³⁷.

فإنّ ما بقي خافيا منه، ولم تقف على تفاصيله تلك المصادر المعاصرة لأحداثه، قبل أن يبرز للعيان في وقت لاحق كحقيقة لا مراء فيها، هو تأمين طريق الدّهب القديم، العابر للمغرب الإسلامي بأبعاده الثلاثة (الأدنى، والأوسط، والأقصى) نتيجة تلك التّحالفات المستقلّة مع قبائل وعشائر المنطقة، وما نجم عليها من ظهور كيانات موالية للأمويين بالأندلس، تسهر على رعاية مصالحهم على الصّعيد المحلي؛ ذلك الإجراء الذي تعزّز أكثر فأكثر باستحداث موانئ تجارية جديدة على مستوى سواحل المنطقة بغرض تأمين حصّة كافية للأمويين من حصّة الدّهب الإفريقي، وملاحاة المتوسط تجاريا، بعيدا عن أطماع الفاطميين الذين اضطّروا في نهاية المطاف إلى شقّ طريق آخر جديد في النّاحية الشّرقية لاستغلال ذهب السودان، وهجر طريق خليفهم الأوّل المهدي بالله وداعيته عبد الله الشّيعي، كما سلفت الإشارة*.

(ب). تكوين موالين لهم لمضايقة الفاطميين في عقر دارهم: وذلك بتوثيق الصّلة مع الثّائرين والمنشقين على الحكم الفاطمي بالمغرب الأوسط، وتوفير لهم الملاذ الآمن بجزيرة الأندلس إن لزم الأمر ذلك، ومدّهم بالدّعم المادّي والمعنوي مادمت الغاية واحدة، والعدوّ مشترك بين الطّرفين المتعاونين، مثل ما حدث مرارا وتكرارا أيام الخليفة النّاصر مع مخلد بن كيداد ونجله أيوب، وحمزة بن إبراهيم حاكم جزائر بني مزغنى (مدينة الجزائر)، والخير بن محمد بن خزر الزّناتي وابنه فتوح فاتح وهران، وحُميد بن بصل الزّناتي الذي فتح تيهرت بمعية الخير بن محمد الأنف الذكر، وإقامة الدّعوة فيها للنّاصر عام (333)هـ، وموسى بن أبي العافية وابنه البُوري، وغيرهم من جهة؛ وتوكّده مراسلات صاحب الحمار مخلد بن كيداد

المكتّفة بشكل ملفت للنّظر، الذي كان يزفّ أخبار انتصاراته في المغربين الأوسط والأدنى على الحكم المركزي الفاطمي للنّاصر، أول بأول، واستقبال هذا الأخير رُسُل هذا الثّائر، وعلى رأسهم ولده المذكور من قبل بحفاوة كبيرة، لا تليق إلا بمن هم في مقام الملوك والأمراء من جهة ثانية³⁸.

أو مثل ما وقع مع عامل الفاطميين على المسيلة جعفر بن عليّ، المشهور بابن الأندلسي أيام الخليفة المستنصر بالله، حيث نبذ طاعة معد الفاطمي، وانضم إلى صفّ الموالين للأمويين في بلاد المغرب الأوسط من قبائل زناتة، الذين استعان بهم في الإيقاع بكبير قادة الجيش الفاطمي المناهض للأمويين في بلاد المغرب زيري بن مناد، والتّمكّن منه في نهاية المطاف، وحزّ رأسه، ثم بعثه للمستنصر بالله كعربون ولاء وطاعة، قبل أن يعُبر بدوره في وقت لاحق إلى الأندلس رفقة أخيه يحيى وحشمهما، وينعم برغد العيش في كنف حماية الخليفة المستنصر بالله³⁹.

(ج). إذكاء حرب الظلّ والنّزال البحري ضدّ الفاطميين: ردّا على عملية تسريب العيون والمخبرين الفاطميين بالأندلس منذ عهد خليفتهم الأوّل عبيد الله المهدي⁴⁰، قام الخليفة الأموي النّاصر وابنه المستنصر من جهتهما بعمل مماثل مضاد في هذا الشّأن، حيث دسّ النّاصر جملة من عيونه في صفوف خصمه متنكرين في زيّ العلماء، والزّهاد، والتّجار وغيرهم، كان منهم أبو جعفر محمد بن خيرون الأندلسي المعافري الذي أعدمه المروزي قاضي الفاطميين، والفقيه أبو عليّ حسن بن مُفَرِّج، والزّاهد محمد الشّذوني، اللّذان قُتلا بدورهما بأمر من عبيد الله المهدي نفسه⁴¹.

فيما التحق ببلاط ابنه المستنصر لذات المهمة محمد بن يوسف بن عبد الله الورّاق، الأندلسي المولد عام (292هـ)، القيرواني المنشأ، صاحب المؤلّفات الكثيرة في الشّأن الأفريقي إلى درجة تلقيبه بحافظ أخبار المغرب من طرف ابن حيّان، كان من جملتها كتاب ضخّم في مسالك أفريقية وممالكها، حيث نقل عنه واقتبس منه البكري فيما بعد معظم مادته ومنهج تأليفه في كتاب المسالك، لاسيما فيما يخصّ الأخبار التي سبقت البكري، ووصف جغرافية المغرب الإسلامي، كما هو مُحال عليه في موضعه من كتاب المسالك والممالك، وكتب تاريخية أخرى كثيرة حول تاريخ ملوك أفريقية (المغرب الأدنى)، وفي أخبار تيمرت، ووهران، وتنس بالنّسبة للمغرب الأوسط، وأخبار سجالماسة، ونكور، والبصرة فيما تعلّق بالمغرب الأقصى، درّست جميعا اليوم، حيث بقي هذا العَلَم في خدمة خليفته إلى تاريخ وفاته بقرطبة عام (362)هـ⁴².

هذا فيما يخص ردّ فعل الأمويين على الفاطميين في مجال حرب الظل الناشبة بين الطرفين، أمّا فيما تعلّق بالنزال البحري، فإنّ المصادر التاريخية العربية لا تخفي إرجاع أحد الأسباب الرئيسيّة لاعتناء الأمويين ببناء الأسطول البحري، وتعاهده بالتقوية المستمرة، حتّى أصبح يعتدّ في مائتي قطعة (سفينة)، أو نحو ذلك على عهد الناصر⁴³ إلى تدهور العلاقات بين هؤلاء وبين الفاطميين في المغرب، وتقاطع مصالحهما الحيوية هناك، حيث انتهت في الأخير كما سلفت الإشارة إلى المواجهة المباشرة بين الطرفين⁴⁴، كان من جملة ما رصدته مصادر تاريخ المغرب الإسلامي من وقائع في هذا النّسق العام، نزول الأسطول الأموي بقيادة القائد غالب على السّواحل الأفريقية التابعة للفاطميين عام (345)هـ، ثم إعادة الكرة مرّة ثانية في عام (347)هـ، أي في ظرف أقلّ من سنتين، لكن هذه المرّة بقيادة صاحب شرطة الناصر، القائد أحمد بن يعلى بدل القائد السّابق غالب⁴⁵.

(د). إقامة مستعمرات أموية على سواحل المغرب الأوسط في شكل "محطات تجارية حرة": سلك الأمويون في مجال الاستيلاء على سواحل المغرب الأوسط مسلك الفينيقيين معه من قبل خلال مرحلة الارتياح الباكر في مستهلّ الفترة القديمة، حيث لجأوا في بادئ الأمر إلى عملية تهيئة بعض الخلجان الطّبيعية وتحويلها إلى موانئ، ومحطّات تجارية مؤقتة، أو موسمية للتبادل الحرّ مع الأهالي، قبل الشّروع في ترقية بعضها إلى مدن مستقلة مع مرور الوقت، أمام سكوت سكان السّواحل عليهم، وسرعان ما تطوّرت إلى مدن مزدهرة، يقطنونها بمفردهم مرّة، كما هو الحال عليه على سبيل الذكر لا التّخصيص والحصص مع تأسيس كلاً من: مدينة أسّون شرق رشقون المُستحدثة في عهد الناصر، قبل تجديدها في عهد مؤسس الدّولة العامرية محمد بن أبي عامر على يدي مبعوثه إلى هناك حُميد بن يزيد⁴⁶، ومدينة تنس المنشأة من طرف جماعة من تجار الأندلس كان من جملتهم على حدّ ما ذكر البكري في مسالكه: الكركدن، وابن عائشة، والصّقر، وصّهيب في خلافة ابنه المستنصر بالله عام (262)هـ⁴⁷. أو بمعية، وإشراك الأهالي مرّة ثانية، كما هو الحال عليه مع تأسيس مدينة وهران على يدي محمد بن أبي عون، ومحمد بن عدون، وثلّة من تجار الأندلس الذين كانوا يترددون عليها من قبل في مواسم معلومة بعد الاتفاق مع نفّزة وبني مَسْقَن⁴⁸.

(4). أثر الاستراتيجية الأموية على ترقية الأنشطة التجاريّة بموانئ المغرب الأوسط:

أسفرت الإستراتيجية المعتمدة من طرف أموي الأندلس في مجال الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط على تحقيق ثلاث نتائج في منتهى الأهميّة:

(أ). اتخاذ "تابحريت" في أقصى سواحل المغرب الأوسط (شمال غرب مدينة تلمسان اليوم) ميناءً خاصاً لاستيراد ذهب السودان الغربي، وفتح بمقتضى ذلك طريقاً برياً جديداً يربط هذه المدينة المستحدثة بشكل مباشر مع مدينة وجدة على امتداد مسافة (40) ميلاً⁴⁹، ومن هذه الأخيرة إلى سجلماسة عبر الطريق التجاري القديم المعروف⁵⁰، بعيداً عن مناطق نفوذ الفاطميين وأحلافهم في المغرب الأوسط. إذ يقول البكري في هذا الشأن ما نصّه بالحرف الواحد: "وهي مدينة مسورة على ساحل البحر. لها مسجد جامع، مُتقن البناء، مُشرف على البحر؛ ولها أسواق جامعة؛ وهي محط السفن، ومقصد التجار لقوافل سجلماسة، وغيرها"⁵¹.

(ب). الاستيلاء التام تدريجياً على النقاط الإستراتيجية من سواحل المغرب الأوسط من أقصى نقطة في الشرق إلى أدنى نقطة في الغرب سِلماً، وهو ما عجز على تحقيقه الاحتلال المسيحي الإسباني في الفترة الحديثة بقوة السلاح والبارود لاحقاً. إذ توسّع الحضور الأندلسي في عقب رحيل الفاطميين إلى مصر، واستقلال الحمّادين بحكم المغرب الأوسط بعيداً عن نفوذ أبناء عمومتهم الزيّريين، خلفاء الفواطم في المغرب الإسلامي بشكل ملفت للانتباه، حيث استفادوا من امتيازات خاصة لاستغلال مرجان القالة وتسويقه على الصّعيد الدّولي، والتّحكم في قسط كبير من رواج اقتصاد مدينة بونة (عنابة)، القطب الاقتصادي الثّاني في الدّولة الحمّادية بعد مدينة بجاية العاصمة الإدارية والاقتصادية أيام ازدهار الدّولة الحمّادية دائماً، ومدينة دلس التي اقتطعها الحمّاديون خصيصاً للأندلسيين في عقب تدهور أوضاعهم مع الدّخول المربطي لجزيرتهم خلال القرن (05هـ/11م)؛ وكذا فتح خطوط ملاحية عمودية جديدة تربط مدينة الجزائر بموانئ الجنوب الشرقي من الأندلس كالمرية وجزر الباليار لم تكن معروفة من قبل، ناهيك عن حضور الأندلسيين المكثف في السّواحل الغربية من تنس حتّى البحيرة (تابحريت) غرب مدينة هنين الذائعة الصّيت على ساحل تلمسان، حيث كان بمثابة تقليد عريق متوارث بين أجيال الأهالي، وأبناء الأندلس على حدّ سواء*.

(ج). تنمية شبكة الطّرق البريّة القديمة لتجارة الدّهب، وإثرائها بطرق جديدة خلال الفترات الزّمنية اللاحقة عبر مختلف أنحاء المغرب الأوسط، كما سبق تفصيل ذلك من قبل.

خاتمة:

وصفوة القول فإنّ الإستراتيجية الأموية قد أتت أكّلهما مرتين، مرّة بإحراز تقدم واضح على نظيرتها الفاطمية⁵²، حيث تمكنت من تحقيق الأهداف المسطرة لها سلفاً على الرّغم من الاستماتة القويّة للفاطميين على مدار مدّة زمنية طويلة نسبياً، ناهزت سبعة عقود كاملة، بدءاً

من سنة (297هـ) تاريخ اعتلاء الخليفة الفاطمي الأوّل العرش في أفريقيا، المهوس بالشأن الأندلسي منذ ساعة تنصيبه ومبايعته، وانتهاءً بعام (266هـ) تاريخ وفاة الخليفة الأموي بالأندلس المستنصر بالله.

ومرة ثانية حينما عادت بالنفع على الخلافة الأموية بالأندلس، كما يشهد على ذلك ما أورده عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته الشهيرة حول تقدير مؤرخي الأندلس لثروة الخليفة عبد الرحمن الناصر عشية وفاته، حيث قال: "وأما الأندلس، فالذي ذكره الثقات من مؤرخيها، أنّ عبد الرحمن الناصر خلف في بيوت أمواله خمسة آلاف دينار مكررة ثلاث مرّات؛ يكون جملتها بالقناطير خمسمائة ألف قنطار"⁵³؛ وتؤكد شهادة المستنصر بالله من بعده أمام الملأ، حينما همّ بوقف ربع ثروته التي ورثها من أبيه عام (350هـ) على جامع قرطبة في عقب الزيادة التي أحدثها عليه سنة (353هـ)، وتنصيب حاجبه وسيف دولته جعفر ناظراً خاصاً لهذه الأوقاف العظيمة⁵⁴؛ وهو وقف لا يُستبعد أن يكون سبباً مباشراً في تعرض بيت مال هذا المسجد للسرقة بعد ذلك مباشرة⁵⁵، كحادثة فريدة من نوعها في مظان تاريخ الغرب الإسلامي خلال فترة القرون الوسطى في حدود اطلاعنا الخاص.

الهوامش:

* يمكن استنباط ذلك من غير كثير عناء بالرجوع إلى تصفّح مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، المنتهجة لأسلوب الحوليات التاريخية كابن القطان، صاحب كتاب نظم الجُمان؛ وابن عذاري المراكشي، صاحب كتاب البيان المُغرب؛ وابن أبي زرع (أبو عبد الله محمد بن عبد الحليم)، صاحب كتاب الأنيس المطرب على سبيل الذكر لا التخصيص والحصص.

¹ يُراجع بهذا الشأن على سبيل المثال: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإ. لفي بروفنسال، نشر دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، 1980م، الجزء الثاني، ص 156-248.

² حول هذا الموضوع يمكن مراجعة: ابن حمّاد، (أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م؛ النّويري (أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الإرب في فنون الأدب؛ الدولة الفاطمية ببلاد المغرب (296 - 361هـ / 909 - 972م)، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، نشر مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، الطبعة الأولى، 1988م.

* تفاصيل أكثر حول الخصوصيات الطّبيعية، والبشرية، والحضارية لهذه الرقعة الجغرافية، ينظر على سبيل الذكر لا التخصيص والحصص: العربي (إسماعيل)، الصّحراء الكبرى وشواطئها، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

³ زبّادية، مرجع سابق، ص 11.

⁴ البكري (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد)، المسالك والممالك، حقّقه ووضع فهرسه جمال طلبة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 2003، الجزء الثاني، ص 359-369؛ مؤلف مغربي من أهل القرن (12هـ/ 106م) مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية)، بغداد، طبعة خاصّة بالمشرق العربي، 1986، ص 219-225؛ حركات (إبراهيم)، النّشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط حتّى القرن (15هـ/ 109م)، نشر إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، 1996م، ص 124؛ زبّادية، مرجع سابق، ص 12-15؛ العربي، الصّحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 281-295.

- ⁵ الاستبصار، مصدر سابق، ص 215: حركات، مرجع سابق، ص 124.
- ⁶ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 345: حركات، مرجع سابق، ص 53: بلهاري (فاطمة). "التبادل التجاري بين مدن المغرب خلال القرن (10هـ/10م)". في: إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية، تصدر عن المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية، بوهان، العدد: 42، (أكتوبر-ديسمبر) 2008، ص ص 77-82.
- ⁷ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 345: الاستبصار، مصدر سابق، ص 216.
- ⁸ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، حققه وقدم له علي محمد عمر، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م، ص ص 245-246: البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 349: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب (قطعة منه تبدأ من أواسط القرن الأول إلى أواخر القرن الثاني هجري)، تحقيق المنجي الكعبي، نشر الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثانية، 2005م، ص ص 133-134: العربي (إسماعيل)، دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 24.
- ⁹ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 355: حركات (إبراهيم)، مرجع سابق، ص 52.
- ¹⁰ حركات، مرجع سابق، ص 53.
- ¹¹ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 345: الاستبصار، مصدر سابق، ص 216.
- ¹² البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ص 364، 367: الاستبصار، مصدر سابق، ص ص 221-222: حركات، مرجع سابق، ص 54.
- ¹³ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ص 332-333: 337: الاستبصار، مصدر سابق، ص 202.
- ¹⁴ الاستبصار، مصدر سابق، ص 202.
- ¹⁵ حركات، مرجع سابق، ص ص 53-54.
- * أكثر تفاصيل حول هذه الطرق خلال القرون المتأخرة من فترة العصور الوسطى، ينظر على سبيل المثال: ابن بطوطة (محمد بن عبد الله)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، منشورة من غير تحقيق ولا تعليق، نشر المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى، 1322هـ، الجزء الثاني ص ص 230-233: البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني ص ص 370-373: الاستبصار، مصدر سابق، ص ص 200-201: زبادة، مرجع سابق، ص ص 29-31: بلهاري (فاطمة)، مرجع سابق، ص ص 64-72.
- ** حول ازدهار هذا الطريق على عهدي الإدريسي؛ والمؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون، واستمرار ذلك إلى عهد الجاسوس الإسباني مارمول كريخال، ينظر: الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله)، المغرب من كتاب نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية محمد حاج صادق، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 161: ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تعليق الحواشي وفهرسة خليل شحاتة، مراجعة سهيل زكار، نشر دار الفكر، بيروت، 2000، الجزء 07، ص 70: مارمول (كريخال)، إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي، وجماعته، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، (1988-1989)م، الجزء الثاني، ص 386.
- ¹⁶ الطيبي، (أمين توفيق)، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، نشر الدار العربية للكتاب، ليبيا / تونس، 1984، ص 303، وما بعدها.
- ¹⁷ نفسه.
- ¹⁸ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 346: الإدريسي، مصدر سابق، ص 102.
- * يمكن تقدير هذه الغنيمة العظيمة رياضيا بالكيفية الآتية: جمل، أو وفر البعير معدله مائتان وسبعون كيلو غراما بالوزن الدولي المعاصر، مضروبة في عدد الأحمال (120)، تصبح الكمية الإجمالية هي: (32.40) طنًا كاملاً.
- ¹⁹ الاستبصار، مصدر سابق، ص 204: النويري، مصدر سابق، ص ص 40-41: ابن حماد، مصدر سابق، ص 21.
- ²⁰ حركات، مرجع سابق، ص ص 50-51.
- ²¹ ميكيل (أندري)، جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر، تعريب خوري إبراهيم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1953، الجزء الثالث، ص 120: ابن عميرة (محمد)، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 185.
- ²² الإدريسي، مصدر سابق، ص 102.
- ²³ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 259.
- ²⁴ ابن خلدون، مصدر سابق، الجزء السابع، ص 101.
- ²⁵ حركات، مرجع سابق، ص 49.

- ²⁶ حركات، مرجع سابق، ص 50.
- ²⁷ نفسه، ص 50.
- ²⁸ ابن عذارى، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 231.
- ²⁹ نفسه، الجزء الثاني، ص 133-152.
- ³⁰ المراكشي (محي الدين أبي محمد عبد الواحد بن علي التميمي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مراجعة دوزي، نشر ليدن، الطبعة الأولى عن المخطوط المحفوظ بمكتبة ليدن، 1847م، ص 17.
- ³¹ مرمول (محمد الصالح)، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص ص 308-312.
- ³² مرمول (محمد الصالح)، مرجع سابق، ص 310.
- * أكثر تفاصيل حول رد فعل الفاطميين تجاه التدخل الأموي في الشأن الداخلي للمغرب، ينظر على سبيل المثال: النويري، مصدر سابق، ص ص 54-59؛ ابن خلدون، مصدر سابق، الجزء السابع، ص 27؛ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ص 335-336؛ القاضي النعمان، المجالس والمساربات، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شيوخ ومحمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1997م، ص ص 152-180؛ ابن عميرة، مرجع سابق، ص 184؛ مرمول مرجع سابق، ص ص 306-315.
- ³³ العذري (أحمد بن عمر بن أنس الدلاني)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق الأهواني عبد العزيز، نشر معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، بدون ذكر تاريخ الطبع، ص ص 15-73؛ ابن عذارى، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 157.
- ³⁴ ابن عذارى، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 204؛ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 286.
- ³⁵ الاستبصار، مصدر سابق، ص ص 191-192.
- ³⁶ ابن عذارى، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 246-247.
- ³⁷ نفسه، الجزء الثاني، ص 221؛ ابن خلدون، مصدر سابق، الجزء السابع، ص ص 103، 105.
- * أكثر تفاصيل حول التدخل الأموي في الشأن الداخلي المغربي على عهد الخليفة الناصر، والخطبة له على منابر مساجد المغرب الإسلامي من تهرت شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن طنجة شمالاً إلى سجلماسة جنوباً، وكذا ابنه المستنصر بالله، ينظر على سبيل المثال: ابن خلدون مصدر سابق، الجزء السابع، ص ص 20-26، 78-79؛ ابن عذارى، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ص 204-224؛ 243-248؛ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ص 278-280؛ 318؛ ابن عميرة، مرجع سابق، ص ص 186، 195؛ العربي، دولة الأدارسة، مرجع سابق، ص 198؛ بلهاري (فاطمة)، مرجع سابق، ص 62.
- ³⁸ ابن عذارى، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ص 212-220؛ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 261؛ مرمول، مرجع سابق، ص 131.
- ³⁹ ابن عذارى، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ص 342-343.
- ⁴⁰ مرمول، مرجع سابق، ص ص 313-314.
- ⁴¹ ابن عذارى، مصدر سابق، الجزء الأول، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، نشر دار الثقافة بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م، ص 187؛ مرمول، مرجع سابق، ص 313.
- ⁴² البيهقي (أبو بكر الصنهاجي)، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص 14، هامش 3.
- ⁴³ ابن خلدون (عبد الرحمن)، مقدمة ابن خلدون، (طبعة غير محققة)، نشر دار الجيل (بدون ذكر تاريخ الطبع)، بيروت، ص 280.
- ⁴⁴ مرمول، مرجع سابق، ص 311.
- ⁴⁵ ابن عذارى، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ص 321-322.
- ⁴⁶ البكري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 262.
- ⁴⁷ نفسه، الجزء الثاني، ص 242.
- ⁴⁸ نفسه، الجزء الثاني، ص 253.
- ⁴⁹ نفسه، الجزء الثاني، ص 264.
- ⁵⁰ نفسه، الجزء الثاني، ص 265.

⁵¹ نفسه، الجزء الثاني، ص 264.

* أكثر تفاصيل حول هذا العنصر، يراجع على سبيل المثال المصادر الجغرافية الواردة في هذا البحث، كالاستبصار، والإدريسي، والبكري، والعذري؛ ومن المصادر الجغرافية التي لم يسبق ذكرها: ابن جبير، (أبو الحسن محمد)، تذكرة بالأختار عن اتفاقات الأسفار، تقديم سليم بابا عمر، نشر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988م؛ وكذلك من المراجع: أرشيبالد، (لويس. ر.)، القوى البحرية في حوض المتوسط (500-1100م)، تعريب أحمد موسى، مراجعة وتقديم، شفيق غربال، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون ذكر تاريخ الطبع؛ كليليا (سارنلي تشركو)، مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غربي البحر الأبيض المتوسط في القرن الخامس هجري، نشر لجنة البيان العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1961م؛ GOITEIN, (S. D): «The Unity of the Mediterranean World in the 'Middle' Middle ages», In: Studia Islamica, Tome 12, Année 1960, pp 29-42.

⁵² مرمول، مرجع سابق، ص ص 314-315.

⁵³ ابن خلدون، مقدمة بن خلدون، مصدر سابق، ص 200.

⁵⁴ ابن عذارى، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 234، 236.

⁵⁵ نفسه، الجزء الثاني، ص 236.